

ا.د.سعاد هادي حسن الطائي
تاريخ العصر العباسي المتأخر
المرحلة الرابعة

عنوان المحاضرة :السلطان السلجوقي ملكشاه
ودوره السياسي والعسكري

*النشاط العسكري لملكشاه:

كان ملكشاه مع والده في حملته على المشرق . فلما قتل والده جلس على العرش بوصية منه ، و كتب السلطان ملكشاه الى الخليفة في بغداد ليصدر له التفويض بالسلطنة و ليأمر بذكر اسمه في الخطبة فأجيب الى ما طلب . غير ان عمه "قورد" ، الذي اوصى له ارسال بكرمان و فارس ، لم يطب نفساً بتولي ابن اخيه السلطنة ، فخرج بقواته من كرمان قاصداً الري معلناً انه احق بالسلطنة و لكن ملكشاه و وزيره نظام الملك سبقاه اليها ، ثم سارا اليه فالتقيا به بالقرب من همذان ، و تمكنا بمساعدة امراء العرب و الاكراد من الانتصار عليه ، حيث امر ملكشاه بقتله تخلصاً من شره ، و لكنه اقر كرمان بيد اولاده، فتوارثوا حكمها زمناً طويلاً الى عام 583هـ /1187م و سميت دولتهم في التاريخ بأسم "سلاجقة كرمان" . و كذلك كافأ السلطان العرب و الاكراد بأقطاعات كثيرة لما ابدوا في الحرب من بسالة و بلاء . اما نظام الملك فقد علا شأنه ، فرد السلطان الامور كلها اليه و اقطعه اقطاعاً وافراً و خلع عليه و لقبه القاباً من جماتها لقب "اتبك" و معناه الامير الوالد . و ذلك لما اظهر من كفاية و شجاعة و حسن سيرة.

ما كاد الامر يستقر لملكشاه حتى انصرف لتحقيق اهدافه، و هو بسط نفوذ السلاجقة حتى تشمل جميع انحاء العالم الاسلامي . و بدأ فولى وجهه شطر الشام و كان هو قد دخلها من قبل في حياة ابيه حتى وصل بيت المقدس عام 463هـ فلما ولي العرش اتجه الى اتمام ما بدأه في عهد ابيه ، فتوغلت جيوشه حتى استولت على

معظم بلاد الشام ، ثم ارسل جيشاً دخل الاراضي المصرية و توغل حتى وصل القاهرة و حاصرها ، و لكنه لم يستطع فتحها لمقاومة الفاطميين لهم. فأضطر جيش السلاجقة الى العودة الى الشام ، و لم يفكر بعد ذلك في دخول مصر مرة اخرى ، غير ان السلاجقة حرصوا على تأمين بلاد الشام و انتزاعها نهائياً من الفاطميين ، و لذلك اسند السلطان ملكشاه امر بلاد الشام الى اخيه تاج الدين تتش في عام 470هـ ، و سمح له بفتح ما يستطيع فتحه من الاقاليم المجاورة و ضمه الى سلطة السلاجقة.

و في سنة 471هـ اتجه "تتش" الى حلب ليعيدها الى حوزته ، و لكنه علم بحصار جيش الفاطميين لمدينة دمشق ، فخف بقواته لنجدتها ، فأنسحب الجيش الفاطمي دون قتال و دخل تتش مدينة دمشق و اتخذها قاعدة لحكمه ، و اسس فيها دولة "سلاجقة الشام".

و في نفس الوقت الذي عين فيه ملكشاه اخاه تتش على الشام عين سليمان بن قتلش والياً على البلاد التي فتحها السلاجقة في آسيا الصغرى ، فوضع سليمان يده على ولايتي قونية و آق سرا. و يعد سليمان هذا المؤسس الحقيقي لدولة "سلاجقة الروم" التي كتب لها ان تكون اطول دول السلاجقة عمراً ، فقد ظلت تحكم هذه البلاد الى عام 700هـ / 1300م . و قد تمكن سليمان من توطيد نفوذ السلاجقة في آسيا الصغرى . ثم حاول التوسع بفتح اقاليم جديدة . ففتح انطاكية عام 477هـ / 1084م . و كانت انطاكية من بلاد الشام غير انها كانت تحت حكم الروم منذ عام 358هـ . و لذلك فأن فتحها كان بالغ الاهمية لانه اوصل نفوذ السلاجقة الى سواحل البحر المتوسط.

لكن سيطرة سليمان على مدينة انطاكية اوقع الفرقة بين افراد البيت السلجوقي ، اذ بدأ التنازع بين سليمان و تتش ، فقد حاول كل منهما ان يوسع منطقة نفوذه ، ففكر في الاستيلاء على جزء من الاقاليم الخاضعة للاخر . و قد بدأ سليمان بالعدوان ، اذ انه بعد فتح انطاكية اتجه الى حلب ليضمها لحكمه ، و حاصرها حصاراً شديداً حتى استنجد حاكمها بتتش و تقدم تتش بقواته لصد سليمان عنها ، و دارت بين الطرفين معركة حامية قتل فيها سليمان عام 479هـ / 1086م و دخل تتش حلب .

غير ان السلطان ملكشاه احس بخطورة الخلاف بين السلاجقة ، فتقدم بنفسه الى بلاد الجزيرة و الشام ، و اخضع في طريقه ما صادفه من قلاع كانت لا تزال تحت حكم الروم مثل الرها . فلما اقترب من حلب رحل عنها تتش الى دمشق ، فدخلها السلطان و طمأن اهلها، و فصل بين الطرفين المتنازعين ، فأقر تتش على بلاد الشام ، كما اقر ابناء سليمان على بلاد الروم.

و حين فرغ ملكشاه من اقرار الامور في الجزء الغربي من دولته رحل الى بغداد حيث توطدت بينه و بين الخلافة اوامر الصلة ، اذ زوج ابنته الى الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله في اوائل عام 480هـ / 1087م، فأزداد نفوذ السلاجقة بذلك استقراراً في جميع المناطق التي تحت ايديهم و اصبحت قوتهم اكبر قوة في المشرق الاسلامي . و آن لملكشاه و قد وطد دولته في المغرب ان يتجه الى المشرق ليخضع اقليم ما وراء النهر ، حتى يثأر لمقتل والده في هذه الديار ، و قد وافته الفرصة حين شكا اليه علماء ما وراء النهر من ظلم اميرها احمد خان حتى استغاثوا بالسلطان و سأله القدوم عليهم ليملك بلادهم .

ولهذا توجه السلطان بقواته الى بلاد ما وراء النهر ، فهزم احمد خان و استولى على بلاد ما وراء النهر كلها ، ثم تجاوزها الى اقليم كاشغر حيث خضع له و اليها و بذلك بلغ ملك السلاجقة اقصى اتساعه شرقاً و غرباً ، فقد شمل المناطق الواقعة بين كاشغر في الشرق و انطاكية في الغرب ؛ أي من حدود الهند شرقاً الى البحر المتوسط غرباً و ضم تحت لوائه اقاليم ما وراء النهر و ايران و آسيا الصغرى و العراق و الشام.